ان جاء القديس باسيليوس الكبير فوضع للكنيسة اليونانية الليتورجيا المعروفة باسمه مختصرًا فيها خدمة القديس يعقوب . وما لبث القديس يوحنا فم الذهب ان اختصر خدمة باسيليوس واعطانا خدمته المعروفة باسمه . ثم نشأت بعد ذلك خدمة البروجيازمانا المنسوبة الى غريغوريوس الكبير بابا رومية

فيتبين لك من هذه التغيرات الطقسية المتوالية من السيد له المجد والرسل الاطهار واباء الكنيسة وغيرهم ان الطقس ما كان في نظرهم الا ما هو عليه حقيقة نوع من انواع العبادة الخارجية يمكن تغييره حسب الظروف والدواعي المختلفة

ثم تتبع صاحب المقالة تاريخ الطقوس والصلوات في الكنيسة وبيّن ما طرأ عليها من التقلبات على اختلاف الكنائس وتداول الايام بيد انه لم يسمح بان يكون حق التصرف بها الا لارباب الكنيسة التي نالت تلك السلطة من الله . ثم بيّن ان تلك الطقوس لا تمس باذى اذا استحسن المؤمنون بعض عبادات خارجة وان جديدة تريدهم تقيّ ونشاطاً في خدمة الله واستدل على ذلك برغبة الشعب في تلك العبادات الصالحة الى ان قال : وصوت الشعب صوت الله وما باقي من الله لا يقوى عليه بشر

كتاب فضائل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

لابي بكر عليّ بن احمد الشهير بابن المرزبان

رواية القاضي ابي القسم عليّ بن المحسّن بن عليّ التنوخيّ

توطئة

سبق لنا في تعريف ديوان السموءل (ص ١٦١) انّ ذلك ديوان كان مدرجاً في الاصل في مجموع ادبيّ يحتوي على عدّة آثار من جملتها « كتاب فضائل الكلاب » . وقد وعدنا بان ننشر الكتاب المذكور عند سنوح الفرصة فقد حانت تلك الفرصة وها نحن نقوم بالوعد . كان هذا الكتاب الثالث من ذلك المجموع يبتدئ في الصحيفة ٤٤ وينتهي بالصحيفة ٦٣ فتكون جملة صحائفه ٢٠ وصفحاته ٤٠ صفحة بالخط المشرقي الثخين . وقد سرّ انّ تاريخ كتابته سنة ٦٤٩ (١٢٥٢) كتبة المجموع وقد قابلهُ على الاصل في تلك السنة اللغويّ الشهير الحسن بن محمّد الصغانيّ

اما مؤلف الكتاب فأحد فدماء الادباء اسمهُ ابو بكر عليّ بن احمد بن المرزبان البغداديّ ذكرهُ ابن خلكان في تراجم الاعيان (طبعة باريس ٤٥٠) وذكر عنهُ انهُ كان مدرّساً ببغداد عالمًا بالفقه الشافعيّ ولم يزد في تعريفهِ. ثم قال انهُ توفي في رجب سنة ٣٦٩ (٩٧٧) ولم يذكر لهُ شيئاً من التآليف. لكنَّ هذا الكتاب في فضائل الكلاب من تصنيفهِ لا شك فيهِ ومنهُ نسخة في خزانة مخطوطات برلين العربية (Ahlwardt: *Arab. Handsch.* V, 25) تاريخها سنة ١٠٢٨ للهجرة (١٦٣٩). وقد ذكر الكتابَ غير مرَّة الحاجُّ خليفة في كشف الظنون فدعاهُ (ج ٦ ص ٤٥٤ ed. Flügel) « فضل الكلاب على اكثر ممَّن لبس الثياب » وسمَّاهُ في محلٍّ آخر (ج ٥ ص ٦٧ وج ٦ ص ٢٢٨) « تفضيل الكلاب على كثير ممَّن لبس الثياب ». وهذا الاسم يوافق عنوان نسخة برلين وقد زعم واصف مخطوطات برلين انَّ ابن المرزبان توفي سنة ٣٠٩ للهجرة والصواب كما روى ابن خلكان وكما ورد ايضاً في رأس نسختنا. وقد اختلفت نسخة برلين عن نسختنا في مطلعها واسماء رواة الكتاب فذكرهم على هذه الصورة: « قال الشريف السيّد القاضي شرف الدين... ابو عليّ محمَّد بن الشريف القاضي ابي البركات احمد بن عليّ الحسيني المرّاني النسّابة اخبرني الشيخ... ابو محمَّد عبد المولى بن ابي عبد الله البيّع الناخي المالكي اجازةً في سنة ثلاث واربعين وخمسمائة الخ... اخبرني ابو عمر محمَّد بن زكريَّا بن حيّويه المرّاني » وكذلك اختلف ختام النسخة البرلينيّة عن نسختنا هذه فهي تنتهي بهذه الالفاظ: « وليس في الحيوان اشدُّ حبًّا لربّهِ ولا احسن طاعةً لهُ منهُ وليس شيءٌ آثر عندهُ ممَّن ينظر اليهِ صاحبهُ بوجه طلق. تمَّ ». وباقي النسختين يتطبق على بعضهِ. ولابن المرزبان ما عدا هذا الكتاب تأليف آخر مفقود في عهدنا ورد ذكرهُ في كشف الظنون (ج ٥ ص ٩٦ وج ٦: ٢٢٨) فدعاهُ « كتاب السودان وفضلهم على البيضان » وقد دُعي المؤلف هناك « ابا بكر محمَّداً » والمشهور كما سبق « ابو بكر علي بن احمد ». والله اعلم

وممَّا يجدر بنا التنبيه اليهِ في الختام ان ابن المرزبان لم يقصد بتسطير هذا الكتاب بخس الجنس البشري وتفضيل الكلاب عليهِ. وانَّما اراد ان يرشد الناس بمثال الحيوان كما وجَّه الله تعالى في الكتاب الكريم انكلان الى التملة فيضع الانسان بالفضل ما يصنعهُ الحيوان بالغريزة. هذا ما اقتضى التنبيه اليهِ مع تكرار شكرنا لحضرة الاب انستاس الكرملي الذي اوقفنا على هذا الاثر وسمح لنا بنشره

ن. ش

(44ᵛ) بسم الله الرحمن الرحيم

وبهِ استعين

اخبرنا القاضي ابو القسم علي بن المحسن بن عليّ التنوخي قراءةً عليهِ فأقرَّ بهِ قال:

خبرنا ابو عمر محمّد بن العبّاس بن حَيّوَيْه قال: اخبرنا ابو بكر محمّد بن خلف بن المرزبان اجازةً قال: ذكرتَ اعزّك الله زماننا هذا وفسادَ مودّة اهله وخسّة اخلاقهم ولؤم طباعهم وانّ أبعدَ الناس سفرًا من كان سفرهُ في طلب اخٍ صالحٍ الامر كما وصفتَ. وقد رُوي عن ابي ذرّ الغفاريّ رحمة الله عليه انهُ قال: كان الناس ورقًا لا شوك فيهِ فصاروا اليوم شوكًا لا ورق فيهِ. قال بعضهم: كنّا نخافُ على الإخوان كثرة المواعيد وشدّة الاعتذارات وان يخلطوا مواعيدهم بالكَذِب واعتذارهم بالتزيّد فذهب اليوم من يَعِدُ الخيرَ ومات مَن كان يعتذرُ من الذنب. قال لبيدٌ:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهمْ وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْرَبِ

واخبرنا ابو العباس المُبَرّد قال حدّثني بعضُ مشايخنا قال: كنتُ (45ا) عند بِشر ابن الحرث يومًا فرأيتُهُ مغمومًا ما تكلّم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسهُ فقال (١:

ذهبَ الرجالُ المُقتدَى بفَعالهم والمُنكرون لكلّ امرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم بعضًا ليدفعَ مُعورٌ عن مُعورِ

وانشدنا لغيره:

ذهب الذين اذا رَأَوْني مُقبلًا سُرُّوا وقالوا مرحبًا بالمُقبِلِ
وبقي الذين اذا رَأَوْني مُقبلًا سَبُّوا وقالوا لَيْتَهُ لم يُقبِلِ

وقال آخر:

ذهب الناسُ واستقلّوا وصرنا خلفًا في اراذلِ الناسِ
في أُناسٍ ترامُ الدهرُ ناسًا فاذا حُصِّلُوا فليسوا بناسِ (٢

وقال آخر (45ب):

ذهبَ المَلْحُ من كثيرٍ من النا سِ ومات الذين كانوا ملاسا
وبقي الأسمحون من كلّ صنفٍ ليت ذا الموتَ منهمُ قد اراسا

وقال آخر:

ذهب الذين اذا غضبتُ تسلّلوا واذا جَهِلْتُ عليهم لم يَجْهَلُوا
واذا اصبتُ غنيمةً فَرِحوا بها واذا بَخِلْتُ عليهم لم يَبْخَلُوا

---

١) بعض الابيات التالية تجدها في كتاب ألف باء للبلوي (ج ٢ ص ١٤٥–١٤٦)
٢) لهذين البيتين روايات مختلفة في كتاب الف باء (٢: ١٤٥) مع بيتين آخرين

انشدني ابو عبد الله السَّدُوسيّ (١ :

ذهب الذين همُ الثياتُ المُسْبَلُ وبقي الذين همُ العذاب المُنْزَلُ
وتقطَّعت ارحامُ اهـل زماننا فكأنَّما خُلِقَت قِلًا (٢ توصَلُ
الناسُ مشتَبِهونَ مَن كَشَفَتْهُ منهم كشفتَ عن الذي لا يجملُ
امَّا الفقير فحاسدٌ متَفَطِّرٌ حسدًا واما ذو الثَّراء فيَبْخَلُ

وقال آخر :

ذهب الكرامُ فاصبحوا اموانا ورثًا تطيرُ الرياحُ رُفاتا
وتَبدَّلَتْ غرَصاتهم من بعدهم بسوى ثياب الصالحين ثباتا (٣
وبقيتُ في دهرٍ أُحاذِرُ شرَّهُ واخافُ فيهِ من الطريقِ (٤ بُياتا (49'

وقال آخر :

وما الناسُ بالناسِ الذين عهدتَهم ولا الدارُ بالدارِ التي كُنْتَ تَعرِفُ
ولا كُلُّ من تَهوى يُمِيلُكَ قلبُهُ ولا كلُّ من صاحبتَهُ لكَ مُنْصِفُ

وقال آخر :

ذهبَ الناسُ وانقضت دولةُ المَجْـد (٥ فكلٌّ الّا القليلَ كِلابُ
انَّ من لم يكن على الناس ذئبًا اكلتهُ في ذا الزمانِ الذئابُ
غير انَّ الوجوهَ في صور النا س وأبْدانُهم عليها الثيابُ
ليس تَاقى الّا كَذُوبًا غبيًّا بين عِنِّيـهِ للاياسِ كتابُ

وقال آخر :

ذهب الذين فضولهم مملوءةٌ ولهم اذا قحطَ الزمان جفانُ
ذهبوا فليس لهم نظيرٌ واحـدٌ او لا تراهم لا ابا الك كانوا
لم يبقَ من اهل الفضائل والنُّهى الّا فلانٌ باسمِهِ وفلانُ

وقال آخر (47') :

سَلَفٌ مضى وبقيت بعـدهمُ وكذاك يَذْهَبُ من أتى بعدي
تركوا الذي جمعـوا لغيرهمِ وكذاك اتركهُ لمن بعـدي

ابو تمّام :

فلو رُفِعت بـناتُ الدهرِ عنهُ وأُلقِي عن مناكبِهِ الدثارُ

---

١) دعاهُ في الف باء « الدستوائيّ »
٢) ويروى : ولبست
٣) ويروى : ثياب الصالحين ثبانا
٤) ويروى : من الصديق
٥) ويروى : دولة الناس

لعدل قِسْمَةَ الايّام فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ

ولغيره :

ذهب المُفضِلون والسَّلَف الو فُونَ بالعهد منهم والعقودْ
ثُمَّ خُلِّفتُ في حياة من النا سِ أُناسيهم ودهرٍ شديدْ
فيهِ ساء الدِّلْجَةُ الحُوْلُ القُلَّبُ والسيّد استوى والمَسُودْ
فلو انَّ الامورَ كانت تُفادَى لفديْنا المنقودَ بالمَوْجودْ

أنشدنا لعليّ بن العبّاس الرومي :

ذهب الذين عزائم مُذْ اهمهم هَزَّ الكُماةِ أعِنَّةَ الفرسانِ
كانوا اذا مُدِحوا رَأَوا ما فيهم فالارضيَّةُ منهمُ بمكانِ
والمدحُ يقدَحُ قلبَ من هو اهلهُ قَدْحَ المَواعظِ قلبَ ذي الايمانِ
(47) قدَعِ الثناءَ فانّ ثوابَ مديحهم الّا ثواب عبادةِ الاوثانِ
كم قائلٍ لي منهمُ ومدحتهم بمدائحٍ مثل الرياض حسانِ
احسنتَ وَيحَك ليس فيَّ وانّما استحسنُ الحَسَناتِ في ميزاني

وانشدني ابو هفّانَ :

لا تَعجَبُوا أن تَرَوْني بين أظهُرِكم اشي وبركَبُ قومٌ ما هُمُ احدا
لَئِنْ علا السادَةَ الاحرارَ سِفْلَتُها انَّ النُّشاء لَيَعْلُو الماء والزَّبَدا

قال ولقيَهُ اسمعيل بن بُلبل يوماً وهو راجلٌ فقال لهُ : مالي اراك راجلاً . فقال :

أرجَانِي قِلَّة الكِرامِ وكَثْرةُ المالِ في اللئامِ
وليس هذا عليَّ وحدي هذا شقاءٌ على الأنامِ

وسألتني اعزَّك الله ان اجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الاخوان ومحمود خصاله في السرّ والإعلان فقد جمعتُ ما فيه كفاية ولستُ اشكُّ انك اعزَّك الله عارفٌ بخبر عبد الله (47) ابن هلالٍ الكوفي المخدوم صاحب الخاتم وخبر جاره وما سألهُ من الكتاب الى ابليس لعنهُ الله في حاجةٍ لهُ وان كان العقلُ يدفع هذا الخبر فهو مثلٌ حسنٌ يُعرف مثلهُ في سائر الناس . فكتب لهُ الكتاب واكّد لهُ غاية التأكيد ومضى وأوصل الكتاب الى ابليس فقرأهُ ووضعهُ على عينيه وقال : السمع والطاعة لابي محمّد فما حاجتك . قال : لي جارٌ مُكرم لي شديد الميل اليّ يُشفق عليَّ وعلى اولادي ان كانت لي حاجة قضاها وان احتجتُ الى قرضٍ اقرضني واسعفني وان غبت خلفني في اهلي وولدي يُبَشِّرهم بكل ما يجد اليه السبيل . وابليس كل ما يسمع منهُ يقول : هذا حسنٌ وهذا

جميلٌ. فلما فرغ من وصفه قال: فما تحبُّ ان افعل به. قال: أُريد ان تزيل نعمتهُ وتفقره فقد غاظني امرهُ وكثرة مالهِ وبقاؤهُ وطولُ سلامتهِ. قال: فصرخ ابليس صرخةً لم يُسمع منهُ مثلها قط. فاجتمع عفاريتهُ وجندهُ وقالوا لهُ: ما الخبر يا سيدهم ومولاهم. فقال لهم: هل تعلمون انَّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقًا هو شرٌّ مني. قالوا: لا (48r). قال: فانظروا الى هذا القائم بين يديَّ فهو شرٌّ مني

ولو فتشتَ في دهرنا هذا لوجدتَ مثل صاحب الكلب كثيرًا ممَّن تعاشرهُ اذا لقيك رحَّب بك واذ رغبت عنهُ أسرف في الغيبة وتلقَّاك بوجه المحبَّة ويُضمر الغشَّ والمسبَّة وقد علمت ما جاء في الغيبة فان النبيَّ (صلَّى الله عليهِ وآله وسلم) قال: من كان لهُ وجهان في الناس كان لهُ يوم القيامة لسانان من نار. وقال صاحبهم: اياكم والغيبة فانها شرٌّ من الزنى انَّ الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عزَّ وجلَّ عليهِ وصاحب الغيبة لا يُغفر لهُ حتى يغفرها لهُ صاحبها. ورُوي عن بشر بن الحرث قال: قال الفُضيل بن عياض: لا يكون الرَّجل من المتَّقين حتى يأمَنهُ عدوُّهُ. ثم قال الفضيل: هيهات ذهب اولئك وكيف يأمنهُ عدوُّهُ وهو يخافهُ صديقهُ. وقال بعضهم: ذهب زمن الأُنس ومن كان يُفاوض فاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوِّك وقدِّم الحزمَ في كل الامور واياك ان تُنبِّههُ فيجاهر بهِ في وقت الشرِّ (48r) انشدني زيدُ بن عليٍّ:

احذرْ مودَّةَ ماذقٍ خالط المرارةَ بالحلاوَهْ
بجميع الذنوب عليك م ايأمَ الصداقة للعداوَهْ

وقيل لبعض الحكماء: واي الناس احقُّ أن يُتَّقى. قال: عدوٌّ قويٌّ وسلطان غشومٌ وصديقٌ مخادع. وانشد ادعبل بن عليٍّ الخُزاعيُّ:

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديق شريكٌ في الصُّبوح وفي الغَبوق
لهُ وجهان ظاهرهُ ابن عمٍّ وباطنهُ ابن زانيةٍ عتيقِ
يسرُّكَ مقبلًا ويسوءُ غيبًا كذاك يكونُ اولادُ الطريقِ

وقال كُثيِّر عزَّةَ:

انتَ في معشرٍ اذا غِبتَ عنهم جعلوا كلَّ ما يزينُك شَيْنا
فاذا ما رَأوكَ قالوا جميلًا انت من اكرم الرجال علينا

انشد ابن طاهر الكاتبُ:

حالَ عمَّا عهدتَ ريبُ الزمانِ واستحالت مودَّةُ الإخوانِ

واستوى الناس في الحديقة والمكر م نكلٌ لسانهُ إنسانِ (49)

واعلم اعزّك الله انّ الكلب لن يقتنيه اشفق من الوالد على ولده والاخ الشفيق على اخيهِ وذلك انهُ يحرسُ ربَّهُ ويحمي حريمهُ شاهداً وغائباً ونائماً ويقظان لا يقصر عن ذلك وان جفوهُ ولا يخذلهم وان خذلوهُ

وروي انّ رجلًا قال لبعض الحكماء : اوصني . فقال : ازهد في الدنيا ولا تُنازع فيها اهلها وانصح لله عزّ وجلّ كنُصح الكلب لاهلهِ فانّهم يُجيعونهُ ويضربونهُ ويأبى الّا ان يحوطهم نصحاً . وروى عمرو بن شعيب عن ابيهِ عن جدّهِ قال : رأى رسول الله صلعم رجلًا قتيلًا فقال : ما شأن هذا الرجل قتيلًا . قالوا : يارسول الله وثب على غنم بني زُهرة فاخذ شاةً فوثب عليهِ كلب الماشية فقتلهُ . فقال صلعم : قتل نفسهُ واضاع دينهُ وعصى ربَّهُ جلّ وعزّ وخان اخاهُ وكان الكلب خيراً منهُ فعلًا أيعجزُ احدكم ان يحفظ اخاهُ المسلم في نفسهِ واهلهِ كحفظ هذا الكلب ماشية اربابهِ

ورأى عمر بن الخطّاب رضَ اعرابيًا يسوق كلباً . فقال : ما هذا معك . فقال : يا امير المؤمنين هو (49ظ) الصاحب ان اعطيتهُ شكر وان منعتهُ صبر . قال عمر : نِعم الصاحب فاستمسك بهِ . ورأى ابن عُمر مع اعرابي كلباً فقال لهُ : ما هذا معك . قال : مَن يشكرني ويكتم سرّي . قال : فاحتفظ بصاحبك . قال الاحنف بن قيس : اذا بصبص الكلب بك فانظر الى بصبصتهِ ولا تثق ببصابص الناس فربَّ مُبصبص خوّان . قال الشعبيّ : خيرُ خصلةٍ في الكلب انهُ لا يناقق في محبّتهِ . قال ابن عبّاس رضَ : كلبٌ امين خير من انسانٍ خوّون

حدّثنا القسم بن محمّد الرّصديّ قال : حدّثنا مُحرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمن قال : رأيتُ مالك بن دينار ومعهُ كلبٌ فقلت : ما هذا . قال : هذا خيرٌ من جليس السوء

قال ابو عمر بن حَيّويه : حدّثنا ابو القسم ابن بنت منيع قال : حدّثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدّثني ابن ابي طاهر قال : حدّثني حمّاد بن اسحاق بن ابراهيم الموصليّ قال : قال ابي : اتيت يوماً الفضل بن يحيى فصادفتهُ يشرب وبين يديهِ كلب فقلتُ لهُ : أتنادم كلباً . قال : نعم يغنيني اذاهُ ويكفّ (50ظ) عنّي اذى سواهُ يشكر قليلي ويحرس مَبيتي ومقيلي . انشدني الحسن بن عبد الوهّاب لرجل يذمُّ صديقًا له ويمدحُ كلباً :

تميّزتَ من الأخلا قِ ما يُتقى من الكلبِ
فانَّ الكلبَ مجبول على النصرةِ والدَّبِّ
وفيٌّ يحفظُ العهـد ويحمي عرصةَ الدَّربِ
ويسطيك على اللينِ ولا يُعطي على الضَّربِ
ويشفيك من الغيظِ ويُنجيك من الكَرْبِ
فلو اشبهتَـهُ لم تلـ ـكَ م كانوناً على القلبِ

وذكر بعض الرواة قال: كان للربيع بن بدر كلبٌ قد ربّاهُ فلما مات الربيع ودُفن جعل الكلب يتضرّب على قبرهِ حتى مات. وكان لعامر بن عنبرة كلاب صيد وماشية كان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبرهُ حتى ماتت عندهُ وتفرّق عنهُ الاهلُ والاقارب

ورُوي لنا عن شريكٍ قال: كان للأعمش كلبٌ يتبعهُ في الطريق اذا مشى حتى يرجع فقيل لهُ في ذلـك فقال: رأيت صبياناً يضربونهُ (50) فرقتُ بينهم وبينهُ فعرف ذلك لي فشكرهُ فاذا رآني بصبص لي وتتبّعني. ولو عاش ايدك الله الاعمش الى عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى اهل زماننا هذا وسمع خبر ابي سماعة المَيطي ونظائره لازداد في كلبهِ رغبةً ولهُ محبّة. قال: عجا ابو سماعة المَيطي خالد بن برمك وكان اليهِ محسناً فلما وُلي يحيى الوزارة دخل اليهِ ابو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال لهُ: انشدني الابيات التي قلتها. قال: ما هي. قال: قولك:

زورتُ يحيى وخالدًا مُخلصاً فه م ديني فاستصغرا بعض شاني
فلو اني جحدتُ في الله يوماً ولو أني عبدتُ ما يَعبُدانِ
ما استحقّا في ما اظنُّ مـاني ولأصبحت منهمـا بمكانِ
انَّ شكلي وشكل من جحد الله م وآياتـهِ لمختلفـانِ

قال ابو سماعة: ما اعرف هذا الشعر ولا من قالهُ. قال لهُ يحيى: مـا تملك صدقةً ان كنت تعرف من قالها؟ فحلف. فقال يحيى: وامرأتك طالق؟ فحلفَ. فاقبل يحيى على النَّشائي ومنصور بن زياد والاشعثي ومحمّد بن محمّد المعبّدي وكانوا حضوراً (51) للمجلس فقال: ما أحسبنا الّا وقد احتجنا ان نجدّد لابي سماعة منزلاً وآلةً وخرثيًّا ومتاعاً يا غلام ادفع اليهِ عشرة الاف درهم وتختاً فيهِ عشرة اثواب. فدفع اليهِ فلما خرج تلقّاهُ اصحابهُ يهنّئونهُ ويسألونهُ عن امرهِ فقال: ما عسيتُ ان اقول الّا انَّ ابن الفاعلة أبى الّا كرماً. فبلغت يحيى كلمتهُ من ساعتهِ فامر بردّهِ فحضر فقال لهُ: يا أبا سماعة لم تعرف مَن

عجبا وألم تعرف مَن شتمنا ؟ قال لهُ ابو سماعة : ما عرفتهُ ايها الوزير حسدت وكُذبَ عليَّ . فنظر اليهِ يحيى مليًّا ثم انشأ يقول :

اذا المرء لم يخدش بظُفْر ولم يوجد لهُ إنْ عضَّ نابُ
رجا فيهِ الغيرة من بغاها وذلَّت من قرابته الصعابُ

قال ابو سماعة : كلَّا ايها الوزيرُ ولكنهُ كما قال :

لن يبلُغَ المجدَ اقوامٌ وان شرفوا حتى يَذِلُّوا وان عزُّوا لأقوامِ
وُيشتموا فترى الألوان مُسفرةً لا صَفْحَ ذُلٍّ ولكن صَفْحَ أحلامِ (51)

فتبسَّم يحيى وقال : قد عذرناك وعلمنا انَّك لَنْ تدعَ مساوئَ شيَمِك ولوْم طبعك فلا أعدمك الله ما جبلَك عليهِ من مذموم أخلاقك . ثم تمثَّلَ :

متى لم تنَزِّعْ اخلاقُ قوم يضيقَ بهم الفسيحُ من البلادِ
اذا ما المرء لم يوجَد لبيبًا فليس اللُّبُّ عن قِدَمِ الولادِ

ثم قال : هو والله كما قال عمر بن الخطَّاب رضَ : المؤمن لا يشفي غيظهُ . ثم انَّ ابا سماعة هجا بعد ذلك سليمن بن ابي جعفر وكان اليهِ محسنًا فامر بهِ الرشيد فخُنق راسهُ ولحيتهُ . ومثلُ ابي سماعة كثيرٌ كرهنا ان يطول الكتاب بذكرهِ . وروي عن بعضهم انهُ قال : ان ليس في هذا الزمان سوى خنازير فان وجدتم كلبًا فتمسَّكوا بهِ فانهُ خير من ناس هذا الزمان قال الشاعر :

اشدد يديك بكلبٍ ان ظفِرْتَ بهِ فاكثرُ الناسِ قد صاروا خنازيرا

انشدني ابو العبَّاس الازديّ (52) :

لكَلْبُ الناسِ ان فكَّرتَ فيهم اضرُّ عليك من كَلْبِ الكلابِ
لانَّ الكلب تحمَدُه فيحظى وكلبُ الناسِ يربضُ للثيابِ
وانَّ الكلب لا يؤذي جليسًا وانت الدهرَ من ذا في عذابِ

حدَّثنا احمد ابن منصور عن ابيهِ عن الاصمعيّ قال : حضرت بعض الاعراب الوفاة وكلبٌ في جانب خيمتهِ فقال لاكبر ولدهِ :

اوصيكَ خيرًا بهِ لانَّ لهُ صنائعًا لا ازال احمدُها
يدلُّ ضيفي عليَّ في غسق اللي ل اذا النارُ نام موقدها

اخبرني ابو الفضل احمد بن ابي طاهر قال : اخبرني بعض الادباء قال : كان لابراهيم ابن هرمة كلاب اذا ابصرت الاضياف بشَّت بهم ولم تنبح وبصبصت بأذنابها بين ايديهم فقال يمدحها :

ويدلُّ ضيفي في الظلام اذا سرى ايقادُ ناري او نباحُ كلابي
حتى اذا واجهتُهُ وعرفتُهُ فديتُهُ ببصابص الاذناب
وجملن مما قد عرفنَ يفيدنهُ ويكدنَ ان ينطقن بالاعراب

قال الاصمعي: وسمعتُ بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي وهو يقول من الفرح: ايهٍ فدتك نفسي. قال ابو نوّاس (52ظ):

مُقذياتٌ وحميّاها مسيّات ومطعماها

ولهُ ايضاً:

أنتَ كلبٌ اهلهُ في تكدهِ قد سعدت جدودهم بجدهِ
وكل خيرٍ عندهم من عندهِ يظلُّ مولاهُ لهُ كعبدهِ
ببيت ادنى صاحبٍ من بهدهِ وان غدا جلّلهُ ببُردهِ
ذا غُرّةٍ مُحجّلٌ بزندهِ يلذُّ منهُ العينَ حُسنُ قدّهِ
يا حُسنَ شدقيهِ وطول خدّهِ يلقى الظباء عنّةً من طردهِ
يا لك من كلبٍ فسيحٍ وحدهِ

ولهُ في هذا المعنى اشياء حسان ومعانٍ مختارة. ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخير وبالشرّ والحمد والذم حتى قد ذُكر في القرآن وفي الحديث وفي الاشعار والامثال حتى استُعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للاسماء. فمن ذلك كلبُ بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة بن نزار وكُليب بن يربوع ومثل هذا كثير

والكلب أيّدك الله منافعهُ كثيرة فاضلة (53ظ) على مضارّهِ بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة الفقهاء والعبّاد والولاة والنسّاك الذي يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها وهم على ذلك يشاهدونها في دور الملوك فلو علموا انّ ذلك نكرةٌ لتكلّموا ونهوا عن اتخاذها بل عندهم اذا قتلوا الكلب كان لهُ عقوبة وان من كان امر بقتلها في قديم من الدهر انما كان لمعنًى ولعلّةٍ وان هذه الكلاب بمعزلٍ عن تلك. قال عمر بن الخطّاب رضَ: من لا يعرف الامور يقول انّ الكلب من السباع ولو كان ذلك ما ألف الناس واستوحش من السبع وكره الغياض وألف الدور واستوحش من البواري وجانب القفار والف المجالس والدور. وكيف يكون ذلك وهو لا يرضى بالنوم والربوض على الارض وهو لا يرى بساطاً ولا يرى وسادًا الّا علاهما وجلس عليهما

رابضاً ولا تراهُ وهو يجد كل موضع جليل نظيف ويجد سبيلاً اليهِ فيتخيَّر عنهُ. وتراهُ يتخيَّر ابدًا ارفع المواضع في المجلس وما يحوزهُ صاحبهُ. (قال) والكلب (53ᵛ) يعرف صاحبهُ وهو والسنَّور يعرفان اسماءهما ويعرفان منازلها وبأي فان مواطنها اذا طُردا رجعا وان أُجيعا صبرا وان أُهينا احتملا. وللكلب ايضاً من الفضائل اثباتهُ وجه صاحبهِ ونظرهُ في عينيهِ وفي وجههِ وحبُّهُ لهُ ودنوُّهُ منهُ حتى ربما لاعبهُ ولاعب صبيانهُ بالعضّ الذي لا يؤلم ولا يؤثر وانهُ تلك الانياب التي لو انشبها في الشجرة لأبرت. قال بعض الشعراء:

ايها السائل الكلاب أصخ لي ... انك سمعاً ولا تكونن جبانا
انَّ في الكلب فاعلمنَّ خصالاً ... من شريف الخصال يُعددنَ ثمانا
حفظُ من كان محسناً ورعاهُ ... للذي تتخذهُ حرباً وحرسا
واتباعٌ لرحلهِ واذا ما ... صار نُطق الشجاع للخوف هما
فهو عونٌ لناجحٍ من بعيدٍ ... مستجيرٍ بقُربهِ حين أمسى

قال ابو بكر: انَّ الرجل في البادية اذا ضلَّ الطريقَ وهالهُ الليل تبحَ نُباح الكلاب لتنبح كلاب الحي فيتبع اصواتها حتى يصير الى الحي. قال آخر:

انَّ قوماً رأوك شبهاً لكلبٍ ... لا رأوا للظلام صبحاً مضيأ
(54ʳ) انت لا تحفظ الذمام لمثلي ... وهو يرعى الذمام رعياً وفيأ
يشكر الشِّبر من كريم فعالي ... آخرَ الدهر لا تراهُ نسيأ
ويناديهِ محسناً من بعيدٍ ... ويرى منهُ طائعاً مستحيأ
انَّ سؤلي وبغيتي ومنائي ... ان اراك النداءَ كلباً سويأ

انشد ابو عبيدة لبعض الشعراء:

يُعرِّج عنهُ جارهُ وشقيقهُ ... ويبسُّ عنهُ كلبهُ وهو ضاربهُ

قال ابو عبيدة: قيل هذا الشعر في رجل من اهل البصرة خرج الى الجبّان ينظر ركابهُ فتبعهُ كلب لهُ فضربهُ وطردهُ وكره ان يتبعهُ فرماه بحجر فادماهُ فابى الكلب الّا ان يتبعهُ. فلمَّا صار الى الموضع وثب بهِ قوم كانت لهُ عندهم طائلة وكان معهُ جارٌ لهُ واخٌ فهربا عنهُ وتركاهُ واسلماه فجُرح جراحات كثيرة ورمياه في بئر وحُثي عليهِ التراب حتى واروهُ ولم يشكوا في قلوبهم انهُ قد مات والكلب مع هذا يمرُّ عليهم وهم يرجمونهُ. فلما انصرفوا اتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوي (54ᵛ) ويبحث في

التراب بمخالبه حتى ظهر راسهُ وفيهِ نفس يتردّد وقد كان اشرف على التلف ولم يبق فيهِ الا حشاشة نفسهِ ووصل اليهِ. فبينما هو كذلك اذ مرَّ أناس فانكروا مكان الكلب ورأوه كانهُ يحفر قبرًا فجاؤوا واذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوهُ حيًّا وحملوه الى اهلهِ. فزعم ابو عبيدة انَّ ذلك الموضع يُدعى بئر الكلب وهذا الامر يدلّ على وفاء طبيعي وإلف غريزي ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع

وحدَّثني عبيد الله بن محمّد الكاتب. قال: حدَّثني ابو محمّد بن خلّاد. قال: مرَّ رجل على بعض السلاطين وكان معهُ عامل ارمينية منصرفًا الى منزلهِ فمرَّ في طريقهِ بمقبرة واذا قبرٌ عليهِ قبَّة مبنيةٌ مكتوب عليها: هذا قبر الكلب فمن احبَّ ان يعلم خبرهُ فليمض الى قرية كذا وكذا فانَّ فيها من يخبرهُ. فسأل الرجل عن القرية فدلُّوهُ عليها فقصدها وسأل اهلها فدلُّوهُ على شيخ فبعث اليهِ واحضرهُ واذا شيخ قد جاز المئة سنة (55r) فسألهُ فقال: نعم كان في الناحية ملك عظيم الشان وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر وكان لهُ كلب قد ربَّاهُ وسمَّاهُ باسم لا يفارقهُ حيث كان. فاذا كان في وقت غدائهِ وعشائهِ اطعمهُ ممَّا ياكل فخرج يومًا الى بعض متنزَّهاتهِ وقال لبعض غلمانهِ: قل للطبَّاخ يطبخ لنا ثُردة لبن فقد اشتهيتُها فأصلحوها. فمضى الى مُتنزَّههِ فوجّه الطبَّاخ فجاء بابن وصنع لهُ ثُردة عظيمة ونسي ان يغطيها بشيء واشتغل بطبيخ اشياء أُخر فخرج من بعض شقوق الحيطان افعى فكرع في ذلك اللبن ومجَّ في الثردة من سمّهِ والكلب رابض يرى ذلك كأنَّهُ ولو كان لهُ في الافعى حيلة لمنعهُ ولكن لا حيلة للكلب في الافعى. وكان عند الملك جارية خرساء زمنة قد رأت ما صنع الافعى. وارقى الملك من الصيد في آخر النهار فقال: يا غلمان اوّل ما تقدّمون لي الثردة. فلمَّا وُضعت بين يديهِ اومأت الخرساء اليهِ فلم يفهم ما تقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفت اليهِ ولجَّ في الصياح فلم يعلم مُرادهُ. ثمَّ رمى اليهِ بما كان يُرمى اليهِ في كل (55v) يوم فلم يقربهُ ولجَّ في الصياح فقال للغلمان: دعُوهُ عنَّا فانَّ لهُ قصَّة. ومدَّ يدهُ الى اللبن. فلما رآهُ الكلب يريد ان ياكل طفر الى وسط المائدة وادخل فمهُ في الغضارة وكرع من اللبن فسقط ميتًا وتناثر لحمهُ وبقي الملك متعجبًا منهُ ومن فعلهِ فاومأت الخرساء اليهم فعرفوا مرادها بما صنع الكلب. فقال الملك لندمائهِ وحاشيتهِ: انَّ شيئًا فداني بنفسهِ لحقيقٌ بالمكافأة وما

يحملهُ ويدفنهُ غيري. ودفنهُ بين ابيهِ وامهِ وبنى عليهِ قبَّة وكتب عليها مـا قرأتَ فهذا ما كان من خبرهِ

اخبرني ابو العلاء بن يوسف القاضي قال: حدَّثني شيخ كان مسنًّا صدوقًا انهُ حجَّ سنةً من السنين (قال) برَّزنا احمالنا الى الياسرية وجلسنا على قداحٍ نتغدَّى وكلب رابض حذاءنا فرمينا اليهِ من بعض ما ناكل. ثم انَّا ارتحلنا وتزلنا بنهر الملك فلما قدَّمنا السُّفرة اذا الكلب بعينهِ رابض كاليوم الاوَّل فقلتُ للغلمان: قد تبعنا هـذا الكلب وقد وجب حقُّهُ علينا فتعاهدوهُ. فنفض الغلمان السفرة بين يديهِ فاكل(56) ولم يزل تابعًا لنا من منزل الى منزل على تلك الحال لا يقدر احد ان يقترب من جمالنا ولا محاملنـا الَّا صاح ونبح فكنَّا قد أمِنَّا من سُلَّالٍ وغيرهِ الى مكَّة. وعزمنا على الخروج في عمل الى اليمن فكان معنا الى ارض قباء ورجعنا الى مدينة السلام وهو معنا

ذكر ابو عبد الله عن ابي عبيدة النحوي وابي اليقظان سحيم بن حفص وابي الحسن علي بن محمَّد المدائني عن محمَّد بن حفص بن سَلْمة بن محارب وقد حدَّثنا بهذا الحديث ابو بكر عبد الله بن محمَّد بن ابي الدنيا باسنادٍ ذكره وهو حديث مشهور انَّ الطاعون الجارف اتى على اهل دارٍ فلم يشكَّ احدٌ من اهل المحلَّة انهُ لم يبق فيها صغير ولا كبير. وقد كان بقي في الدار صبي يرضع يحبو ولا يقوم فصمد من بقي من اهل تلك المحلَّة الى باب الدار فسدُّوهُ. فلما كان بعد ذلك باشهرٍ تحوَّل اليهـا بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما افضى الى عرصة الدار اذا هو بصبيٍّ يلعب مع بُرَّيٍّ كلبةٍ كانت لاصحاب الدار فلما رآهما الصبي حبا اليها فامكنتهُ من لبنها فعلموا ان الصبي بقي في الدار وصار ناسيًا واشتدَّ جوعهُ ورأى (56) جراء الكلبة ترضع فعطف عليهـا. فلمَّا سقتهُ مرَّة ادامت لهُ وادام هو الطلب

اخبرني علي بن محمَّد قال حدَّثني محمَّد بن حسين الشدَّاد قال: ولِّاني القسمُ خلافة احمد بن ميمون بشابَرْزان فقصدت عليَّ بن احمـد الراسبي الى دور الراسبي فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جواري جنديًا من اصحابهِ يُعرف بنسيم كان برسم لطيف غلامهِ واذا كلبٌ يخرج بخروجهِ ويدخل بدخولهِ واذ جالس على باب قربَّهُ وغطَّاهُ بدوَّاج كان عليهِ فسألتُ الراسبيَّ عن محل الغلام وكيف يقنعُ الامير منهُ بدخول الكلب عليهِ ويرضى منهُ بذلك وليس بكلب صيد زينيّ. قال الوليد: سَلهُ عن حديثهِ فانهُ يخبرك بشأنهُ

فاحضرتُ الغلام فسألتهُ عن السبب الذي استحقّ هذه المنزلة منهُ فقال: هذا خلصني بعد الله عزّ وجل من امر عظيم . فاستبشعتُ هذا القول وانكرتهُ عليهِ فقال لي : اسمع حديثهُ فانك تعذرني. كان يصحبني رجلٌ من اهل البصرة يُقال لهُ محمد بن بكر لا يفارقني ويؤاكلني ويعاشرني على النبيذ وغيرهِ منذ سنين فخرجنا نقاتل (57ب) أهل الديتور فلمّا رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطي هميان فيهِ جملة دنانير ومعي متاع كثير أفدتهُ من الغنيمة قد وقف عليهِ باسرهِ فنزلنا في موضع فاكلنا وشربنا. فلمّا عمل الشراب فيَّ عمد اليَّ فشدَّ يديَّ الى رجليَّ واوثقني كتافاً ورمى بي في وادٍ واخذ كل ما كان معي وتركني ومضى وأيستُ من الحياة وقصد هذا الكلب معي . ثم تركني ومضى فما كان باسرع من أن وافاني ومعهُ رغيف فطرحهُ بين يديَّ فاكلتهُ ولم ازل احبو الى موضع فيهِ فشربت ولم يزل الكلب معي باقي ليلتي يعرّي الى ان اصبحتُ فحملتني عيني وفقدت الكلب فما كان اسرع من ان وافاني ومعهُ رغيف اكلتهُ وفعلتُ فعلي في اليوم الاوّل. فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فقلت: مضى يجيئني بالرغيف فلم ألبث ان جاء ومعهُ الرغيف فرمى بهِ اليَّ فلم استتمّ اكلهُ الّا وابني على راسي يبكي وقال: ما تصنع هاهنا وايش قصّتك. فنزل فحلَّ كتافي واخرجني فقلت لهُ: من اين علمت بمكاني ومن دلّك عليَّ. قال: كان الكلب يأتينا في كل يوم فنطرح لهُ رغيف على رسمهِ (57ا) فلا ياكلهُ وقد كان معك فانكرنا رجوعهُ وليس انت معهُ فكان يحمل الرغيف في فيهِ ولا يذوقهُ ويخرج يعدو فأنكرنا امرهُ فاتبعتهُ حتى وقفت عليك . فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب. فهو عندي اعظم مقداراً من الاهل والقرابة. قال: ورأيت أثر الكتاف في يديهِ قد أثر اثراً قبيحاً

وحدّثني ابو عبد الله قال حدّثني ابو الحسن محمد بن الحسين بن شدّاد قال: قصدت دير مخارق الى عبد الله بن الطبريّ النصراني الذي كان يتقلّد النزل للمعتضد بالله فسألتهُ احضاري وكيلاً لهُ يقال لهُ ابراهيم بن داران وطالبتهُ وبإحضار الادلاء لمساحة قريةٍ تُعرف بباصري السُّفلى . فقال لي: يا سيّدي قد وجّهت في ذلك . فقلتُ لهُ : انا على الطريق جالس وما اجتاز بي احدٌ فقال لي : اما رأيت الكلب الذي كان بين ايدينا قد وجّهتُ بهِ. فغلظ ذلك عليَّ من قولهِ وامرتُ بهِ ونلتهُ بما انا استغفر الله جلّ وعزّ منهُ فقال: ان لم يحضر القوم الساعة فانت من دمي في حلّ. فما مكث بعد هذا القول

الا ساعة حتى وافى القوم مقبلين والكلب معهم . فسألتهُ كيف يحتملهُ الرسالة (58ᵃ) . فقال: اشدُّ في عنقهِ رقعة بما احتاج اليهِ واطرحهُ على الحجَّة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر فيقرأون الرقعة فيمتثلون ما فيها

وحدَّثني لصٌّ تائبٌ قال: دخلتُ مدينةً (قد ذكرها لي) فجعلتُ اطلب شيئاً اسرقهُ فلم أصب . فوقعت عيني على صيرفيٍّ موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيساً لهُ وانسللتُ فما جزت غير بعيد واذا بعجوز معها كلب قد وقعتْ في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بُنيَّ فديتُك والكلب يُعصبص بي ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا الى الكلب كيف قد عرفهُ . فعجب الناس من ذلك وتشكَّكت انا في نفسي وقلتُ: لعلَّها ارضعتني وانا لا اعرفها وقالت: (هلمَّ) معي الى البيت أنتم عندي . فلم تفارقني حتى مضيت معها الى بيتها واذا عندها جماعة احداث يشربون وبين ايديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحَّبوا بي وقرَّبوني واجلسوني معهم ورأيت لهم بزَّة حسنة وضعتُ عيني عليها . فجعلت اسقيهم ويشربون وارفق بنفسي الى ان ناموا ونام كل من في (58ᵇ) الدار فقمتُ وكوَّرت ما عندهم وذهبت اخرج فوثب عليَّ الكلب وثبة الاسد وصاح وجعل يتراجع وينبح الى ان أنبهَ كل نائم فخجلتُ واستحييت . ولما كان النهار فعلوا مثل فعلهم امس وفعلتُ ايضاً انا بهم مثل ذلك وجعلت اوقع الحيلة في امر الكلب الى الليل فما امكنتني فيهِ حيلة . فلما ناموا رُمت الذي رمتهُ فاذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني بهِ . فجعلتُ احتال ثلاث ليالي . فلما أيستُ طلبت الخلاص منهم باذنهم وقلتُ: اتأذنون اعزَّكم الله فاني على وفاء . فقالوا: الامر الى العجوز . فاستأذنت فقالت: هاتِ ما معك الذي اخذتهُ من الصيرفي وامضِ حيث شئت ولا تُقم في هذه المدينة فانهُ لا يتهيأ لاحد يعمل فيها لاحد معي عملاً . فاخذت الكيس واخرجتهُ ووجدت انا ايضاً مُتاعي لن أسلم من يدها فكان قُصاراي ان اطلب منها نفقةً فدفعت اليَّ وخرجت معي حتى اخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفتْ ومضيتُ والكلب يتبعني حتى بعدت . ثم تراجع ينظر اليَّ ويلتفت (59ᵃ) اليَّ وانا انظر اليهِ حتى غاب عني

اخبرني بعض الفيوج من اهل الجبل قال: كنت انا مع جماعة خارجين الى أصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان خراب ليس فيهِ احد واذا صوت كلب ينبح واذا

حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فاذا بصاحب نعرفهُ من الفيوج كان معهُ كلب لا يفارقهُ حيث كان. واذا بعض المنجين قد وقع عليهِ وكان الفيج فطناً فلما رأى المنج ان حيلتهُ ليس تنفذ لهُ عليهِ طرح في حلقهِ وتراً ليخنقه بهِ. فلما رأى الكلب ذلك صار الى المنج فخمش وجههُ وعضَّ قفاهُ وطرح منهُ قطعة لحم فسقط المنج مغشيًّا عليهِ فخلصنا من حلق صاحبنا الوتر وكان قد اشرف على التلف وقبضنا على المنج وكتفناهُ بوترهِ ودفعناهُ الى السلطان

وحدَّثني ابراهيم بن برقان قال كان في جوارنا رجلٌ من اهل اصبهان يُعرف بالخصيب ومعهُ كلب له جاء بهِ من الجبل فوقع بينه وبين جارهِ الخصومة الى ان تواثبا. فلما رأى الكلب صاحبه قد وثب عليهِ طفر الى (59ظ) الرجل الذي قد واثب صاحبه فوضع مخالبهُ في أخدعيهِ وعضَّ قفاهُ حتى رأيت الرجل قد غشي عليهِ ودماؤهُ تجري على الارض

قال بعض من يذمُّ الكلاب: الناس ينامون الليل الذي جعلهُ الله عزَّ وجلَّ تعالى سكناً ويتصرَّفون في النهار الذي جعلهُ الله عزَّ وجلَّ مسرحاً وهم (يريد ص اي الكلاب) على ضد ذلك واحتجَّ من يردُّ عليهِ فقال انَّ سهرها بالليل ونومها بالنهار خصلة ماركية ولو كان غير ذلك كان الملوك بهِ أولى وانما انتباهها بالليل لأنَّ فيهِ ينتشر اللصوص ويكثر فيهِ التأتي والثقوب والسرق ثم اذا افضى الى منزل قوم مَنْ لم يرضَ الَّا بالقتل وركوب السوء ونهب المال فهي تحرس من هذه الحال وتنبه عليهِ صاحبهُ. انشدني بعض الادباء:

تاه قلبي وابن مني قلبٌ ... انْ ردَّ السرور يا قومُ صعبُ
شردتهُ خيانةٌ من صديقٍ ... أنا مستامُ لهُ وهو حربُ
مضمرٌ للنفاق والقلبُ منهُ ... مُبطن بغضهُ وباديهِ حبُّ
قلت يوماً لهُ وارضَني منهُ م فعالٌ اني بهِ انت كلبُ (60ظ)
قال للمدح قلتُ ذا امر سلبي ... قال للسلب قلت ما بهِ سلبُ
شيمةُ الكلب حفظهُ لوليّ ... وعن الحيّ في دجى الليل ذَبُّ
يحفظ الجار للجوار ويمشي ... ساهر المقلتين يحرسهُ سَغْبُ
يرقد الناعمون امناً ويمسي ... خائفاً هُلْكهم بحاليهِ صبُّ
وترى الكلبَ في المهامهِ عوناً ... ويُجيبُ اللهيفَ والنار تخبو
وتراهُ ينابحُ القوم خوفاً ... والى الصوت في دُجى الليل يصبو
فلماذا يحشهُ المطُّ ان لي ... وَيلما شتمهُ وما فيهِ سبُّ

انشدني بعض المدنيين يصف كلباً له بالشدة يقال له موق:

يا موقُ لا ذُقتَ بؤسَ العيش يا موقُ ولا مُنيت بشربٍ فيهِ ترنيقُ
ذو هامةٍ كرحى بذرٍ مُلمسةٍ ويُرمى فيهِ وللاجواف تخريقُ
صُمانُهُ قَضَبٌ وقعهُ كَلَبٌ وعندهُ سغبٌ ما فيهِ ترنيقُ (60ظ)
العَقْر (بيتُهُ) والموت كرَّتهُ مجتاز ساحتهِ بالشرّ مرموقُ
والسيف والرمح ادنى منهُ بادرةً والنبل اهون منهُ والمزاريقُ
والترك والدَّيلم المحذور شرُّهما والزنجُ من بعدُ والروم البطاريقُ
جماعةُ القوم ان مرَّت بساحتهِ فضدهُ لاجتماع القوم تفريقُ
او مرَّ جيش عليهم كلهم بطلٌ اذا اناخت بهم من خوفهم نوقُ

قلت لصديق لي: تعرف في هذا شيئاً. قال: نعم وانشدني (١ :

قال لي احمدٌ واحمدُ كلٌّ ليس في الناس مثلهُ اثنانِ
حُسن خُلقٍ وحسن خَلْق وعلمٍ بارعٌ فانهُ ينطق لسانِ
هو في الخلّ زينةٌ وجمالٌ ولدى الشَّرب زينةُ البستانِ
واذا المرّ ضاق بالهمّ صدرًا فرَّج الهمّ احمد المرزبانِ (61ظ)
يا خليلي حفظتَ في الكلب شيئاً قلتُ في (..) في عظم شأنِ
قال لي خذ اخي فأظهَرَ فضلاً قد حوى في (اخي) ظريف المعانِ
في مديح الكلاب مع ذمّ قومٍ فارافي (..) قبل البيانِ
قال اني اراهُ اوفى ذماماً من كثير (بل قا)تُ في الاخوانِ
وامين المنيب باقي بوجهٍ ولقومٍ من الورى وجهانِ
شاكرٌ للقليل غير كفورٍ وكفور الكثير في الخُلّانِ
حارسٌ للحريم يمنع في اللي م عن القوم ساهر الاجفانِ
مثل ليث الغَرين تلقاه لمَّا حلّ في جوف خيسهِ شبلانِ
عارفٌ بالوجه يغضُّ حياءً حين يلقاه للفتى عينانِ
صابرٌ نافعٌ حفوظٌ ألوفٌ دافعٌ مانعٌ بغير امتانِ
لبن الخُلْق مِعطَفٌ حليمٌ (وترى نابهُ) كحدّ السنانِ
وارى الناس غير من انت فيهم (—) ترا كالذئاب والثيرانِ (؟)

(فصلٌ فيمن أفسد الصديقُ حرمتهُ فاقام الكلب حرمته) . اخبروا عن ابي الحسن المدائني يرفعهُ الى عمر قال: كان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم شديد (الحبّ)

(١) قد وقع في اصل هذه الابيات خلل وسقط منها الفاظ فدللنا عليها بقوسين

لهم فبعث احدهم (61ظ) الى زوجته فراسلها وكان الحرث كلبٌ رآهُ فخرج الحرث في بعض متنزهاته ومعهُ ندماؤهُ وتخلّف عنهُ ذلك الرجل . فلما بَعُد الحرث من منزلهِ جاء نديمهُ الى بيتهِ فاقام عند زوجتهِ يأكل ويشرب فلما سكر واراد ان يخلو بها رآهما الكلب فوثب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزلهِ ونظر اليهما عرف القصّة ووقف ندماؤهُ على ذلك فانشأ يقول:

وما زال يرعى ذمّتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليلُ يخونُ
فيا عجبي للخلّ يحفظ حرمتي ويا عجبي للكلب كيف يصونُ

(قال) وهجر من كان يعاشرهُ واتخذ كلبهُ نديماً وصاحباً فتحدّثت بهِ العرب وانشأ يقول:

فللكلبُ خيرٌ من خليل يخونني ويحفظ عرضي بعد وقتٍ وحيلي
ساجعل كلبي ما حييتُ منادمي وامنحهُ ودّي وصَفْوَ خليلي

قال: وذكر ابن داب قال: كان للحسن بن مالك الفتوي إخوان (62ظ) وندمان وكان لهُ كلب على باب دارهِ قد ربّاه فجاء رجل يوماً الى منزل الحسن فدخل الى امرأتهِ فاكلا وشربا وحاولا فعل الشر فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما جاء الحسن وراى ما على تلك الحال تبيّن ما فعلاهُ فانشأ يقول:

اضحى خليلي بعد صفو مودّتي صريعاً بدار الذلّ أسلمهُ القدرُ
بنى حرمتي بعد الإخاء وخانني فغادرهُ كلبي وقد ضمّهُ القبرُ

قال الاصمعي: كان لمالك بن الوليد اصدقاء لا يفارقهم ولا يصبر عنهم فارسل احدهم الى زوجتهِ فاجابتهُ وجاء ليلة فاستخفى في بعض دور مالك عند امرأتهِ ومالك لا يعرف بشيء من ذلك فلما اخذا بشأنهما وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لا يعقل من السكر. فلما افاق وقف عليهما فانشأ يقول (62ظ):

كلُّ كلبٍ حفظتهُ لك أرعى ما بقي لو بقي ليوم التنادي
من خليل يخونُ في النفس والما ل وفي العرس بعد صفو الوداد

وانشد منشد:

واذا قلتُ ويكَ للكلب إخسا لحظني عيناك لحظةَ مُقْتِ
أترى اني حسبتُك كلباً انت عندي من ابعد الناس همّ

ذكروا ان صعصعة بن خالد كان لهُ صديق لا يفارقهُ فجاء يوماً فرآهُ قتيلًا في داره مع امرأتهِ فايقن بخيانتهما فقال :

الغدرُ شيمةُ كل نذلٍ سفلة والكلبُ يحفظُ عهدك الدهرا
فدَع اللئام وكن لكلبك حافظاً فلتأمنَنَّ الغدر والمكرا

حدَّثني بعض اصدقائي قال: خرجت ليلةً وانا سكران فقصدت بعض البساتين لامر من الامور ومعي كلبان لي كنت رُبيتهما ومعي عصا فحملتني عيني فاذا الكلبان ينبحان ويصيحان فانتبهتُ بصياحهما فلم ار شيئاً انكرهُ فضربتهما وطردتهما ونمت (63ب) ثم عاودا الصياح والنباح فانتبهاني فوثبت اليهما وطردتهما فما حسستُ الَّا وقد سقطا عليَّ يحرّكاني بايديهما وارجلهما كما يحرّك اليقظانُ النائم لامر هائل فوثبت فاذا انا باسود سالخ قد قرُب مني فوثبت اليهِ وقتلتهُ ثم انصرفت الى منزلي فكان الكلبان بعد الله عزَّ وجل سبب خلاصي

ويروى انهُ كانت لميمونة زوجة النبي صلعم كلبٌ يقال لهُ مسمار فكانت اذا حجَّت خرجت بهِ معها فليس يطمع احد في القرب من رحلها مع مسمار فاذا رجعت جعلتهُ في بني جديلة واتفقت عليهِ فلما مات قيل لها: مات مسمار فبكت وقالت: لحقتُ بمسمار ... (١

(63ب) وحدَّثني صديقٌ لي انه كان له صديق ماتت امرأته وخلَّفت صبياً وكان له كلب قد ربَّاهُ فترك يوماً ولدهُ في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأى الكلب في الدهليز وهو ملوَّث بالدم ووجهه وبزهُ كلّه فقدَّر الرجل انه قد قتل ابنه واكله فحمل الى الكلب فقتله قبل ان يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبي نائماً في مهدهِ والى جانبهِ بقيَّة من افعى قد قتله الكلب واكل بعضه فندم الرجل على قتلهِ اشدَّ ندامة ودفن الكلب. تمَّ الكتاب ولله المنَّة والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآلهِ وسلَّم تسليماً

نجز نسخهُ رابع عشر ذي القعدة من سنة تسع واربعين ومئتين (١٢٤٩)

بلغ البراض بالاصل المنتسخ منهُ كتب الملتجئ الى حرم الله تعالى للحسن بن محمَّد بن الحسن الصغَّاني مدَّهُ الله باعانتهِ وانعم عليهِ قضاء لبانتهِ في ذي الحجَّة من شهور تسع واربعين ومئتين حامداً ومصلّياً

١) هنا في الاصل بداءة قصَّة لم تكمل فاضربنا عنها